نظريّة النّحو العربي بين سيبويه والنّظريّة الخليليّة
-قراءة في نظريّة العامل-

The theory of Arabic grammar between Sibawayh and Khalili theory
- Reading in factor theory -

ط.د. صافي زُهرة‡

المشرف: رزايقيّة محمود§

تاريخ الاستلام:2020.10.13 تاريخ القبول:2022.03.02

ملخص: يحاول البحث برؤية لسانيّة معاصرة التّقريب بين نظريّة العامل لدى سيبويه، وبين ثنايا النّظريّة الخليليّة؛ من خلال إعادة القراءة في خصائص النّظريّتين ومحاولة الكشف عن الالتقاء والتّماثل والتّشابه بينهما؛ وصولا إلى هيكلة جديدة من البناء النّحوي اللّساني تنصهر فيه النّظريّتان وتمتزجان لتشكّلا كتلة معرفيّة واحدة ومع مايشهده العالم من تطوّر معرفي؛ شهد ركيزة التّراث النّحوي-العامل-عدّة ثورات ما أبرز حاجته إلى صياغة جديدة تتمشى مع الثّورة المعرفيّة العصريّة.

من هنا تدور دراستنا في فلك الإجابة عن استفهام ما الحرج في إعادة صياغة العامل صياغة جديدة تنصف الدّراسات السّابقة، وتناسب معرفة العصر وتصون النّظريّة النّحويّة العربيّة دون الحاجة إلى استبعاده، ورفع غشاوة المعارضة والجدل حوله؟ وإلى أيّ مدى تمكّنت النّظريّة الخليليّة من مزامنة العامل مع العصر؟

‡ جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر، البريد الالكتروني: zahrasaf3@gmail.com (مؤلّف مرسل)

كلمات مفتاحيّة: العامل النّحوي–النّظريّة الخليليّة–التّراث النّحوي –التّجديد العاملي

Study summary : With a contemporary linguistic view, the study tries to bridge the gap between Sibawayh's factor theory and the folds of Khalili theory. Through a re-reading of the characteristics of the two theories and an attempt to reveal the convergence, similarity and similarity between them, reaching a new structure of linguistic syntactic structure in which the two theories fuse and blend to form a single cognitive block, and with what the world is witnessing in terms of cognitive development

The pillar of grammatical heritage - the factor - witnessed several revolutions, which highlighted its need for a new formulation in line with the modern knowledge revolution. From here, our study revolves around the orbit of the answer to the question: What is critical in reformulating the factor in a new formulation that does justice to previous studies and fits the knowledge of the age and preserves the Arabic grammatical theory without the need to exclude it, and lift the confusion of opposition and controversy around it? And to what extent Khalili theory was able to synchronize the factor with the era

Key words: The syntactic factor - Khalili theory - Syntactic heritage - Global renewal

تمهيد: كان العقل البّشري ولايزال غير مستوعب لوجود الشّيء دون مسبّب له، فلكلّ حادثة محدث وبذلك استصعبت عقولها العربيّة قبول أوضاع الأحكام النّحويّة من رفع ونصب وجزم دون مبرّر لها، وكانت هذه الأسئلة نقطة انطلاق لتأسيس مادّتهم النّحويّة، لينشأ في خضمّ ذلك ما يسمّى بالعامل.

وإنّ وصف الظّواهر اللّغويّة في العربيّة يقوم غالبا على نظريّة النّحو العربي الموروثة بركيزتها الأساسيّة العامل، وإذا كان سيبويه نقطة انطلاق للعامل ؛فإنّ الباحث الحاج عبد الرّحمان صالح صاحب الفضل في إعادة الاهتمام به

وتبيان دوره الوظيفي في بناء التّراكيب اللّغويّة، وفهمها من خلال نظريّته اللّسانيّة العربيّة(النّظريّة الخليلية)الّتي قام من خلالها حاولة إخراج نظريّة العامل في حلّة رياضيّة تتوافق مع ما تقتضيه المعالجة الآليّة للسّان البشري، وتتقاطع مع ما أُحدث من مناهج لسانيّة معاصرة فالبحث في المعرفة المعاصرة على منهج لساني يمدّ النّحو العربي، والعامل تحديدا بآليات علميّة وتجريبيّة تعيد صياغة مادّته من الدّاخل، وتحافظ عليه لاضير فيها، "فلا غرابة أن تعدّ قراءة التّراث تأسيسا للمستقبل على أصول الماضي بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب."[1](**عبد السّلام المسدّي1986**).

وهذا البّحث محاولة إثبات لدور العامل وتكيّفه مع مختلف العصور بإضافات تتناسب مع كلّ عصر دون الحاجة إلى التّخلّي عنه، "فإنّ مبدأ استلهام التّراث يتنزّل لدى العرب في عصرنا منزلة مولّد التّأصيل الفردي الّذي بدونه يظلّ الفكر العربي سجين الأخذ محظورا عليه العطاء."[2] (**عبد السّلام المسدّي1986**).

ولعلّ من أسباب اختيار هذا الموضوع وحدّه بهذا العنوان تحديدا ما يشهده العامل النّحوي من تجاذب، وثورات تجعل منه عائقا وجب إزالته تارة وأساسا لا يُستغنى عنه تارة أخرى.

وإنّ عرض المقولات المفاهميّة السّابقة للنّحاة ورؤيتهم للعامل النّحوي ومتابعة تطوّر المفهوم من نحوي لآخر؛ يرتبط ارتباطا مباشرا بظاهرة الإعراب في اللّغة العربيّة حتّى قيل إنّ الإعراب هو "أثر ظاهر أو مقرّ يجلبه العامل في آخر الكلمة وأنواعه أربعة: رفع ونصب في اسم وفعل نحو (زيدُ يقوم) وإنّ زيدا لن يقوم وجرّ في اسم نحو (لزيد)وجزم في فعل نحو (لم يقم) ولهذه الأنواع الأربعة علامات أصول وهي الضّمّة للرّفع والفتحة للنّصب والكسرة للجرّ وحذف الحركة للجزم."[3](**محمّد محي الدّين عبد الحميد، دت**).

بهدف الوصول إلى فكرة أنّ التّجديد في طريقة طرح، ودراسة العامل يمكن أن ترفع عنه عبء التّأخّر والصّعوبة، ولعلّ النّظريّة الخليليةّ أوّل محاولة في ذلك تلتها محاولة عالم الغرب تشومسكي بمنهجه في دراسة العامل (الرّبط العاملي).

كلّ هذا سنحاول بحثه عن طريق تدارس عملاقين في الدّرس النّحوي أحدهما يعدّ أولى خطوات العامل وركيزتها والثّاني ممّا جاد به العصر والمعرفة العربيّة الحديثة في مجال النّحو تحت عنوان:

نظريّة النّحو العربي بين سيبويه والنّظريّة الخليليّة

-قراءة في نظريّة العامل-

فسيبويه أوّل باثّ في النّحو العربي بمختلف نظريّاته والنّظريّة الخليليّة أوّل مناصرة تجديديّة للعامل النّحوي، وإعادة اهتمام عربيّة لسانيّة حديثة لنظريّة العامل.

ولعلّ المحاولات الحديثة في دراسة العامل تعدّ بمثابة محفّز لهذه الدّراسة الّتي ستكون نقطة انطلاق لدراسات أخرى وتكملة لها؛ تبيّن قيمة ما اجتهده العالم الجزائري وأهمّيته، وكإحياء لجذور الدّراسات الحديثة عربيّا من خلال سيبويه.

ونحن ببحثنا لا ندعو إلى طرح العامل ورفض عمليّة الإعراب اللّصيقة به فعلاقتهما وطيدة إلزاميّة لا يمكن قيام أحدهما دون الآخر مادام علم النّحو قائما، ولكنّ مرامنا اتّباع التّجديد القائم على طريقة التّحليل والعرض للعامل الّذي قد ييسّر بعض ما استصعبه الأقدمون والمتأخرون أو حتّى حذفه بآليات حديثة لسانية تهدف لتحقيق التّفاعل المعرفي بين الأنظمة القديمة والمعاصرة.

بداية قبل الشّروع في دراسة العامل النّحوي بين سيبويه والنّظريّة الخليليّة يلزمنا التّعريج على بعض المصطلحات انطلاقا من تحديد مفهوم العامل النّحوي مستخلصين ماجدّ في عامل سيبويه لدى النّظريّة الخليليّة.

1/مفهوم العامل: ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب"[4] **(السّيّد الشّريف الجرجاني،2003)**،"والعمل أصل في الأفعال وفرع في الأسماء والحروف؛ فما وجد من الأسماء والحروف عاملا ينبغي أن يسأل عن الموجب لعمله، والعمل من العامل بمنزلة الحكم من العلّة وكلّ حرف اختصّ بشيء ولم يُنزل منزلة الجزء منه فإنّه يعمل."[5]**(أبي البقاء أيّوب بن موسى الحُسَيني الكفوي،1998)**.

و"انضبطت العربية بهذه النّظريّة لغة العرب، ولولاها لعجز الخلق عن ضبطها ضبطا محكما لغزارة مفرداتها وكثرة تراكيبها وتنوّع استعمالاتها؛ نعم لولا هذه النّظريّة لرأينا نحونا العربي في فوضى واضطراب بل كان مآله إلى زوال وخراب فهي الّتي ثبّتت الأصول ونظّمت الفروع وأمدّت النّحاة بقواعدها الكلّية."[6]**(رياض ابن حسن الخوام،2014)**.

وفي أبسط صورها هي اقتران بين عنصرين يسمّى الأوّل منهما عاملا والثّاني معمولا وظيفة الأوّل طلب تقيّد الثّاني–المعمول–بالحكم الإعرابي الّذي يناسب موقعه ووظيفة الثّاني التّدليل على تنفيذ طلب الأوّل –العامل–بعلامة إعرابيّة تصلح أمارة على الحكم الإعرابي فيكون تفسير العلامة الإعرابيّة اقتضاء العامل لها، وهذا الاقتضاء ناتج عن الاقتران الشّكليّ المنتظم بين العامل والمعمول."[7]**(حسن خميس الملخ،2002)**.

فكلّ عنصر من عناصر عمليّة الكلام يؤثّر فيما بعده ويتأثّر بما قبله فالعامل يقتضي أثرا هو العلامة الإعرابيّة والعلامة الإعرابيّة تتطلّب مؤثّرا وهو العامل فالعامل مؤثّر والمعمول هو المتأثّر، والعلامة الإعرابيّة تعتبر أثرا ناتجا عن عمليّتي التّأثير والتّأثّر «إنّ فكرة العامل الّذي يفسّر العلامة الإعرابيّة في المعمول تحوّلت إلى نظريّة علميّة انبنى عليها تفسير جمهور النّحاة لظاهرة الإعراب في العربيّة."[8] **(حسن خميس الملخ،2002)**.

فنظريّة العامل حاضرة في جلّ أبواب النّحو العربي وتأخيرها في دراسة جوانب التّفسير العلمي في النّحو العربي هدفه محاولة الانفلات من أسر هذه النّظريّة لأخذ الفرصة لشرح جوانب تفسيريّة أخرى في النّحو العربي."[9] **(حسن خميس الملخ،2002)**.

فالعامل إذا هو الموجد المنشئ لشيئين اثنين:

-الحالة الإعرابيّة من رفع أو نصب أو جرّ أو جزم؛

-العلامة الإعرابيّة الّتي تقع في آخر الكلمة وتدلّ على حالتها الإعرابيّة وهذه العلامة حركة أو حرف أو سكون أو حذف."[10] **(وليد عاطف الأنصاري،2014)**.

2/أقسام العوامل:

قسّم النّحاة العوامل إلى أقسام باعتبارات مختلفة: فبالنّظر إلى أثرها في العمل إمّا قياسيّة وإمّا سماعيّة وبالنّظر إلى حقيقتها إمّا لفظيّة وإمّا معنويّة:

والعامل القياسي: هو ما صحّ أن يقال فيه كل ما كان كذاّ فإنّه يعمل كذا كقولنا: غلام زيد لما رأيت أثر الأوّل في الثّاني وعرفت علته، قست عليه ضرب زيد وثوب بكر أما السّماعيّ فهو ماصحّ أن يقال فيه هذا يعمل كذا وهذا يعمل كذا وليس لك أن تتجاوزه كقولنا: إنّ الباء تجرّ ولا تجزم، أما التّقسيم الثّاني:

2/أ/العوامل اللّفظيّة هي: الملفوظة في التّركيب وهي الّتي تحدث الحركات الإعرابيّة في نهاية الكلمة ،وتشمل الأفعال المتصرّفة كضرب وغير المتصرّفة كنعم وبئس والتّامة كضرب والنّاقصة ككان وأخواتها والمشتقّات المشبّهات للأفعال "اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر واسم التّفضيل والصّفة المشبّهة "واسم الفعل والأدوات الّتي تنصب المضارع أو تجزمه وإنّ وأخواتها وحروف الجرّ والمضاف على قول من قال: إنّه عامل في المضاف إليه والمبتدأ على

قول من قال إنّه الرّافع للخبر فالمضاف والمبتدأ حينئذ من العوامل اللّفظيّة وأجمع النّحاة على أن أقوى العامل هي الأفعال.

2/ب/العوامل المعنويّة: فهي كما قال الجرجاني لا حظّ للّسان فيها فهي معنى يعرف بالقلب أي لا ذكر لها في التّركيب مع ظهور أثرها في آخر الكلمة "[11] **(رياض ابن حسن الخوام،2014).**

"وأوّل ذكر للعوامل نجده على لسان الخليل من ذلك مثلا كلامه في عمل إنّ وأنّ وكأنّ ولكنّ وليت ولعلّ قال سيبويه: زعم الخليل أنّها عملت عملين– الرّفع والنّصب–كما عملت كان الرّفع والنّصب حين قلت: كان أخاك زيد إلّا أنّه ليس لك أن تقول: كأنّ أخوك عبد اللّه، تريد كأن عبد الله أخوك لأنّها لا تُصرّف تَصرُّف الأفعال ولا يضمر فيها المرفوع كما يضمر في كان، فمن ثمّ فرّقوا بينهما كما فرّقوا بين–ليس وما–فلم يُجْروها مجراها ولكن قيل هي بمنزلة الأفعال في ما بعدها وليست بأفعال"[12] **(وليد عاطف الأنصاري،2014).**

<u>3/العامل في النّحو العربي عند سيبويه:</u> يعدّ مزيجا بين دقّة البناء وقوّة التّركيب والأصالة والثّورة عليه وبين مؤيّد رافع لشأنه وثائر هادم لقواعده ولعلّ أوّل بداية للعامل كانت مع شيخ النّحاة سيبويه مقيما عليه أبواب كتابه رادّا كلّ علامات الإعراب إليه.

وأوّل من اصطلح مفهوم العمل واستعمله شيخ سيبويه الخليل، فنشأة العامل في النّحو العربي نشأة صوتيّة حرفيّة تقوم على "مبدأ التّأثير والتّفاعل بين الأصوات والحروف وانتهاءً بالمؤثّرات الفاعلة في تغيير أواخر الكلمات داخل التّراكيب والجمل المختلفة فقد أدرك الخليل وجود تفاعل بين الكلمات حين تتآلف مع بعض وجاءت دراسته للحروف على أساس كونها مقدّمة طبيعيّة لدراسة الكلمات أو لدراسة تأليف الكلام منها، فهو يتتبّع الكلمات راصدا استعمالاتها المختلفة ومراقبا مايطرأ على هذه الكلمات من تغيير حيث أدرك أن

بعض الكلمات يلزم حالة واحدة وتلك هي الكلمات المبنيّة وبعضها الآخر يتغيّر بتغيّر التّراكيب لإعرابها عن المعاني المختلفة الّتي تتعرّض لها في التّأليف"[13] **(حسام البهنساوي،2004).**

فالخليل بن أحمد الفراهيدي يعدّ حامل لواء التّقعيد للعربيّة وبناء نحو يجمع ألفاظها وفق شروط وقوانين معياريّة ليتسلّم الرّيادة بعد ذلك سيبويه متقاسما لها مع ابن جنّي، فسيبويه جعل كتابه وعاءً لما سبقه مستوفيّا به عديد مسائل النّحو ومبادئه ما جعل كتابه جذعا للنّحو ،وتعدّ نظريّة العامل أساسا لكلّ باب من أبوابه تتخلّل أبوابه وفصوله فنجده يقول "وإنّما ذكرت لك ثمانيّة مجار لأَفْرُقَ بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يُحْدَثُ فيه العامل وليس شيء منها إلّا وهو يزول عنه وبين ما يُبنى عليه الحرف بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل الّتي لكلّ عامل منها ضربٌ من اللّفظ في الحرف وذلك الحرف حرف الإعراب"[14]**(أبي بِشر عمرو بن عثمان بن قَنبر،ج1988،1)** ، فالعامل إذا الحاكم في الإعراب وعلاماته من رفع ونصب وجرّ وسكون ونجده وزّع أبواب كتابه باعتبار العوامل بادئا بالفعل.

ويعتمد العامل عنده على معرفة الدّلالة اللّغويّة الكاملة له وفهم التّصوّرات الخاصّة بهذه النّظريّة بوصفه أصلا قام عليه دارسو النّحو، و"إنّ سيبويه من خلال نظريّته الّتي جمع فيها النّظامين الإعرابيين للأسماء والأفعال قد عمل على إخضاع الأفعال لتصوّراته الخاصّة بالحالة الإعرابيّة القبليّة للأسماء كي يستطيع أن يفسّر الإعراب بالرّفع الّذي يظهر على بناء –يفعل–ونخال أنّ تمام ذلك كان من خلال إصرار سيبويه على الاصطلاح لأفعال هذا البناء ب(الأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين)وتفسير تلك المضارعة في أنّها كانت في المعنى يقول: وإنّما ضارعت أسماء الفاعلين أنّك تقول إنّ عبد اللّه ليفعل فيوافق قولك لفاعل حتّى كأنّك قلت :إنّ زيدا لفاعل فيما تريد من المعنى"[15].

(غالب فاضل المطلبي، حسن عبد الغاني الأسدي ،1999).

4/مفهوم العامل في النّظريّة الخليليّة: قبل التّطرّق لمفهوم العامل لابدّ لنا من التّعريف بالنّظريّة الخليليّة.

4/أ/النّظريّة الخليليّة: تعدّ قراءة جديدة لما تركه الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه خاصّة، وذكرنا سيبويه لأنّ أغلب أقوال الخليل العلميّة وجدت في كتابه فقد قام ببثّ ما تركه بتوسيع ،وتوضيح لما استقاه من دروسه وشروحه، وأولى عبد الرّحمان الحاج صالح أهمّية كبيرة لهذه النّظريّة مبيّنا عن قيمتها في تحسين الطّرح اللّساني العربي، "وتُجمع مجموعة من الباحثين وعلى رأسها الأستاذ الحاج صالح من الّذين أسّسوا لها ودعوا إليها، ولقد عكفت هذه النّظريّة منذ حوالي أربعين سنة تقريبا تدعو معشر اللّسانيّين في العالم العربي إلى قراءة التّراث بمنظار علمي بعيدا عن التّعسّف في الاستنطاق والاعتباط في التّأويل"[16](**سمير معزوزن،2019**).

فالنّظريّة الخليليّة هي "نظريّة لسانيّة ثانية للنّظريّة الخليليّة العربيّة الأصيلة الأولى الّتي أرسى معالمها الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه وممّن شافهوا العرب الفصحاء ابتداء من القرن الخامس الهجري مع عبد القاهر الجرجاني ،فقد سمّيت بهذا الاسم بالتّغليب إلى مؤسّسها الأوّل الخليل بن أحمد الفراهيدي عبقري زمانه"[17](**سمير معزوزن،2019**)،فهي ممّا أُحدث من نظريّات لغويّة لسانيّة حديثة مستقاة من مفاهيم النحو للعلماء الأوائل (الخليل وسيبويه) وأهمّ أسس هذه النّظريّة ومعالمها تتجلّى في مفهوم الاستقامة وما إليها وما يترتّب عن ذلك من تفريق بين مايرجع إلى اللّفظ ،وما يرجع إلى المعنى، والباب والمثال والانفصال والابتداء والأصل والفرع واللّفظة والعامل مايستنتج من النّظريّة الخليليّة أنّها تصف الظّواهر التّركيبيّة في اللّغة العربيّة بناءً على فرضيّة العامل المعنوي واللّفظي يحكم العلاقة بين الألفاظ في بنائها في المستوى التّركيبي ،وتكتفي النّظريّة الخليليّة بوصف الظّواهر النّحويّة في

اللّغة العربيّة وصفا بنويا دون وصفها الجانب الدّلالي والتّداولي ما يجعل متعلّم اللّغة العربيّة لايدرك من نحوها سوى العلاقة البنوية الّتي تجمع بين الوحدات اللّغوية.

4/ب/العامل في النّظريّة الخليليّة: ليست اللّفظة الوحدة الصّغرى الّتي يتركّب منها مستوى التّراكيب لأنّ لهذا المستوى وحدات أخرى من جنس آخر أكثر تجريدا وهنا أيضا ينطلق النّحاة من العمليّات الحمليّة أو الإجرائيّة: يحملون مثلا أقلّ الكلام ممّا هو أكثر من لفظة باتّخاذ أبسطه وتحويله بالزّيادة مع إبقاء النّواة كما فعلوا باللّفظة للبحث عن العناصر المتكافئة (من بعض الوجوه) فلاحظوا أنّ الزّوائد على اليمين تغيّر اللّفظ والمعنى بل تؤثّر وتتحكّم في بقيّة التّركيب كالتّأثير في أواخر الكلم (الإعراب) فتحصّلوا بذلك على مثال تحويلي يتكوّن أيضا من أعمدة وسطور(مثل المصفوفة اللّفظيّة)"[18](**عبد الرّحمان الحاج صالح،2007**)، ينطلق نحاة النّظريّة الخليليّة من كلّ مفيد ينطق به البشر فهم ينطلقون في توليد التّراكيب الجديدة واشتقاقها بالتّحويل والزّيادة من أوّل مقطع مفيد دون الحاجة لما قبله أو بعده.

5/العامل بين سيبويه والنّظريّة الخليليّة: تُبثّ دراستنا في منحيين في النّحو العربي عامّة ،ونظريّة العامل تحديدا أحدهما مثّلته النّظريّة الخليليّة لصاحبها عبد الرّحمان الحاج صالح ،والثّاني مثّله إمام النّحاة سيبويه ،وكلاهما شكّلا نهضة في الفكر العربي النّحوي ،فانصبّت النّظريّة الخليليّة على استقراء التّراث اللّغوي وتجسيده من جديد تحديدا ماتركه الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه، وغيرهما ممّن قصدوا تقويم التّراث اللّغوي العربي وإحياءه فهي إتمام ومواصلة لهذه الجهود الأصيلة ،ومواكبة لها مع متطلّبات العصر الرّاهن وخاصّة مع علم اللّسانيّات الحديثة ومبادئها، فقد ارتكزت النّظريّة الخليليّة على عديد المفاهيم اللّسانيّة المحدثة، وقامت النّظريّة العامليّة الخليليّة"على مبدأ التّبعيّة والحمل على الأوّل أي حمل الشّيء على الشّيء وبذلك فهي تعكس

العلاقات الاندراجيّة الموجودة بين الوحدات المعجميّة أي بين الألفاظ"[19](**شفيقة العلوي،2007**).

فبعد أن كانت" بسيطة صافيّة إذ كان الغرض منها تفسير العلامات الإعرابية ،ولكن النّحاة كانوا يتعطّفون بها أحيانا نحو التّكلّف وسوء التّقدير وقد جرّهم ذلك إلى التّحكّم بالكثير من النّصوص الفصيحة إذ كانوا يتأوّلونها تأويلا بعيدا لكي تنطبق على قواعدهم"[20](**وليد عاطف الأنصاري،2014**) ؛أتى سيبويه وجيله فيما بعد محدثين تغييرا جذريا سببه"تأثر النّحويّين أوّلا بعلماء الكلام وكان الكثير منهم أصوليين وثانيا بمنطق أرسطو فأعطوا أوّلا لمفهوم العلّة أكثر ممّا تستحقّه من الأهمّية –حتّى استعملوها بمعنى الأصل والجرّ مع بقاء معناها كسبب الحكم–ثمّ قامت العلّة مقام تكافؤ البنية فصار التّحليل والتّفسير غير رياضي بل مبنيا كلّه على العلل والأسباب مثل ما صار إليه الفقه"[21](**عبد الرّحمان الحاج صالح،2012**) ،كما أنّ التّمعنّ في مصطلح العمل نجده "مأخوذا كما هو الحال في مصطلح الحالة الإعرابيّة من التّراث اللّساني فقد استخدم هذا المفهوم في أكثر من مدرسة لسانيّة عالميّة للحديث عن تأثير بعض العناصر في عناصر أخرى في الجملة، ويُعرف العمل عن طريق هياكل أو صيغ بنوية بحتة في حين يعتمد التّعريف التّقليدي لهذا المفهوم على أسس غير هذا الأساس دلاليّة، وربّما صوتيّة ووجه الاختلاف الثّاني هو عموميّة هذا المفهوم ضمن تصوّرنا الحاضر فهو لا يقتصر على الأسماء.

كما كان الأمر سابقا"[22](**مرتضى جواد باقر،2002**)"فالنّحاة العرب المتقدّمين لا يفترضون شيئا بل ينطلقون من واقع اللّفظ وواقع الخطاب في الوقت نفسه فينظرون في الكلام الطّبيعي أي في المخاطبات العاديّة ماهو أقلّ ما يمكن أن يُنطق به من الكلام المفيد، فيكون ذلك بالنّسبة لكلام العرب قطعة صوتيّة مثل: كتاب أو أي قطعة مماثلة كجواب السّؤال: مابيدك؟ مثلا وهذه

القطعة هي في الوقت نفسه كلام مفيد وقطعة لفظيّة لا يمكن أن يوقف على جزء منها مع بقاء الكلام مفيدا وهذا ما يصفونه بأنّه: ما ينفصل ويبتدأ ويختبرون هذه القطعة بحملها على قطع أخرى لها منزلتها أي تنفصل وتبتدأ"[23](**عبد الرّحمان الحاج صالح،2007**) إلّا أنّهم "لم يخلطوا عند تحليلهم للغة بين البنيّة الصوريّة النّحويّة للفظ وبين آليات الإفادة والمفاهيم الرّاجحة إلى المعاني وحدها ورأوا من الضّروري أن ينطلقوا في تحليل اللّغة من اللّفظ وحده دون اللّجوء إلى المعنى المقصود والأمر فيما يبدو أن النحاة العرب الأوّلين قدّموا دراسة اللّفظ على دراسة المعنى لأنّ المعنى يفهم من اللّفظ وميّز العرب بين اللّفظ والمعنى فيقول سيبويه في أوّل كتابه فمنه:(أي الكلام. قد زيدا رأيت"[24](**فاطمة الزّهراء بغداد،2019**)

وإذا كان منطلق اللّسانيّين الغربيّين في تحليل الكلام البشري يعتمد على مبدأ التّقطيع والاستبدال بتجزئة المدوّنة الكلاميّة إلى قطع واستبدالها بأخرى كما هو الحال عند البنيويين أو قائم على افتراض تركيب كلّ جملة من مكوّنين إسمي وفعلي؛ أوّلهما يمثّل البنية العميقة وثانيها البنية السّطحيّة كما هو حال أتباع التّوليديّة التّحويليّة، فإنّ منطلق النّظريّة الخليليّة يختلف عن ذلك إذ ينطلق من واقع الحدث الكلامي أي من الخطاب نفسه ويمكن القول أنّه تطبيق لقول سيبويه "واعلم أنّه لا يكون اسم مُظهر على حرف أبدا لأن المظهر يُسْكت عنده وليس قبله شيء ولا يُلْحق به شيء ولا يوصل إلى ذلك بحرف"[25](**أبي بِشر عمرو بن عثمان بن قَنبر،ج2، 1317**).

فهم يعتمدون مبدأ الانفصال والابتداء فما يركّب مقطعا في السّلسلة الكلاميّة المفيدة لا يسبقها ولا يأتي بعدها شيء من الزّوائد ويوقف عليها، ومن ذلك أن نقول القطعة زيد كإجابة عن سؤال: من هذا فالعامل هنا "ما به يتقوّم المعنى المقتضي للإعراب فالمفرد المنصرف والجمع المكسّر المنصرف بالضّمة رفعا والفتحة نصبا والكسرة جرّا"[26](**ابن الحاجب، دت**) فالانفصال ليس

بعده شيء والابتداء ليس قبله شيء بمعنى أنّ كلّ وحدة لغويّة قابلة للانفصال عمّا قبلها وما بعدها من الوحدات.

ولقد قام الباحث الدّكتور عبد الرّحمان الحاج صالح في دراساته التّجديديّة "بإعادة قراءة التّراث اللّغوي العربي الأصيل ومقارنته بما توصّل إليه البحث اللّساني الحديث ومحاولة استثمار ذلك في الدّراسات اللّغويّة العربيّة، فأراد بذلك من خلال دراساته أن يعيد الاعتبار لهذا التّراث اللّغوي الّذي هُمّش وهذا لا يعني البتّة أنّه ضد فكرة التّجديد في الدّراسات اللّغويّة العربيّة، حيث وُجّه له في إحدى المحاضرات السؤال الآتي: هل أنتم من المحافظين؟ فأجاب: لست محافظا ولا مجدّدا ولكن أبحث عن المفيد اكتشفنا في القديم شيئا عظيما لم نجده في الحديث، ولو اكتشفناه في الحديث لأخذنا به، وبذلك يكون قد جمع بين الأصالة والمعاصرة واستطاع بذلك بعث الجديد عبر إحياء المكتسب."[27](**سمير معزوزن،2019**).

ونجده يقرّ بأنّ دراسته للتّراث النّحوي تقويميّة بالدّرجة الأولى فيقول "تعرّضنا في هذه الدّراسة لأوّل مرّة لتقويم النّظريّة اللّغويّة الّتي كانت أساسا لأغلب ما يقوله سيبويه ،وشيوخه ولا سيما الخليل وكيفية مواصلة هذه الجهود الأصيلة في الوقت الرّاهن نبدأ بوصف المبادئ المنهجيّة الّتي بنيت عليها هذه النّظريّة ،وذلك بالمقارنة بين المبادئ الّتي تأسّست عليها اللّسانيّات الحديثة وخاصّة البنوية والنّحو التّوليدي التّحويلي وبين هذه النّظريّة وبذلك تظهر في نظرنا الفوارق الأساسيّة الّتي تمتاز بها كلّ نزعة منها بما فيها النّظريّة العربيّة القديمة."[28](**عبد السّلام السّيد حامد،2018**).

وفي نفس المجال يحدّد أهمّ ما تفترق فيه اللسانيّات الحديثة عن التّراث فيقول" أهمّ شيء تفترق فيه النّظريّة العربيّة من اللّسانيات الحديثة هو منهج تحديد الوحدات فالعلماء الغربيون يسلّطون على الخطاب التّقطيع بدون مقياس

إلاّ قابليّة القطعة أن تقوم مقامها قطع أخرى مع سلامة الخطاب، ثمّ بعد صياغتها يلجأ التّوليديّون إلى التّحويلات لتدارك نقائص التّحليل إلى مكوّنات أمّا العلماء العرب فإنّهم ينطلقون من هذه التّحولات نفسها لتحديد الوحدات يحملون القطع القابلة للانفراد بعضها على بعض فتظهر المواضع المرتّبة تكوّن مثالا: ويفعلون ذلك بالنّسبة لكلّ مستوى من مستويات اللّغة"[29]**(عبد الرّحمان الحاج صالح،2007).**

ثمّ يضيف "ونحن مقتنعون بأنّ الدّراسة المتعمّقة لهذه النّظريّة العربيّة الأصيلة مع النّظر في مكتسبات اللّسانيات الغربيّة الخاصّة بالعلاج الآلي للغات سيؤدّينا إلى تغيير الوسائل الحاسوبيّة الّتي هي مستعملة الآن في هذا الميدان وهذا يقتضي أن ننهض بمستوى الصّياغة الرّياضيّة، ولن يتمّ ذلك إلاّ بالمساهمة الكبيرة الفعّالة لعلماء الرّياضيات من هؤلاء الّذين سبق أن نظروا في مشاكل العلاج الآلي للّغات"[30]**(عبد الرّحمان الحاج صالح،2007)**

ففهم التّراث بعمق وإعادة بثّه في ضوء ما يُستحدث من معرفة واجب على كلّ باحث ولا نجد في دراسته للعامل في نظريّته أيّ دعوة للتّخلّي عن العامل ما يثبت لنا أنّ فرضيّة التّخلي عن استصعاب العامل واستوحاش طريقه ليس الحلّ الوحيد لمسايرة العصر ،وتيسير التّراث النّحوي "فبفضل المفاهيم المنطقيّة الرّيّاضيّة، وهذه المناهج بنى العلماء العرب نظريّة لغويّة تخصّ اللّغة العربيّة إلّا أنّها تشتمل مبادئ لغويّة عامّة يمكن أن تنطبق على عدد كبير من اللّغات ولولا مفهوم توافق البناء أو المجرى ومفهوم المثال الّذي لا يوجد مثله تماما في النّظريّات الأخرى، ولولا فهم العمل عموما في هذا التّصرّف، وكلّ ما يرجع إلى قسمة التّركيب وغير ذلك من المفاهيم ،والمناهج المنطقيّة الرّياضيّة لما توصّلوا إلى مثل هذه النّظريّة الأصيلة ونؤكّد مرّة أخرى أنّ هذه نظريّة علميّة بحتة"[31]**(عبد الرّحمان الحاج صالح،2012).**

<u>نتائج البحث:</u> كانت النّقاط المتوصّل إليها من خلال هذه الدّراسة كالتّالي:

–الباحث الدّكتور عبد الرّحمان الحاج صالح اهتمّ كثيرا بالمنطق الرّياضي، وكلّ مايتّصل به من قياس عربي وتصنيف ولعلّ هذا أهمّ ماميّز نظريّته النّحويّة عن غيرها؛

–المفاهيم الأساسيّة للنّظريّة الخليليّة هي الاستقامة والانفراد ومفهوما الموضع والعلامة العدميّة ومفهوما اللّفظة والعامل، والملمح الأساسي لهذه النّظريّة هو المنطق الرّياضي الّذي من أهمّ مواضع استثماره استشراف رؤى معاصرة متوازنة للنّحو العربي؛

–تدحض هذه النّظريّة في بعض معطياتها بما فيها من عمق ودقّة بعض المقولات الشّائعة في دراسة التّراث اللّغوي العربي، وتردّ عليها وتبيّن حقيقتها كما هو الحال بالنّسبة للعامل النّحوي، فأمام هذا السّعي لتجديد النّحو وفق نظريّات البحث اللّساني في الغرب، سعى عبد الرّحمان الحاج صالح في النّظريّة الخليليّة إلى إثبات كفاءة نظريّة العامل الموروثة مقارنة بنظريّات البحث اللّساني العربي؛

–بمقارنة هذه النّظريّة بنظريّات اللّسانيين العرب المحدثين تثبت جذورها وتبرز مكانتها وأهمّيتها وهي في الوقت نفسه إثبات للنّظريّة النّحويّة ففي الوقت الّذي انكبّ فيه نقّاد التّراث النّحوي على كشف عيوب النّحو العربي نجد الدّكتور الحاج صالح ،وكثير من الباحثين يُجمعون أنّه ورغم العيوب الّتي تتخلّل التّراث النّحوي قابل للإصلاح ،وإعادة البثّ بما تقتضيه مستجدّات العصر؛ رغم أنّ الدّرس اللّساني العربي لم يقتصر على النّحو ،وإنّما يشمل جميع العلوم الّتي عرفها القدامى من اللّغويّين، والنّحاة والبلاغيين، وحتّى الأصوليين والمفسّرين وكذا المتكلّمين ،فواقع الدّرس اللّساني العربي لم يخرج عن نقده للتّراث النّحوي؛

-إنّ مسايرة العصر وتجديد التّراث بما تقتضيه متطلّبات العصر كما فعل الدّكتور الحاج صالح لا يجعل من عامل سيبويه حجّة لنقد التّراث النّحوي.

الهوامش

1-عبد السّلام المسدّي، التّفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، الدّار العربيّة للكتاب، تونس ط02، 1986، ص.12

- المرجع السّابق، ص12 [2]

[3]-محمّد محي الدّين عبد الحميد، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج02، دار الفكر بيروت لبنان، دط ،دت، ص39

[4]-السّيّد الشّريف الجرجاني، تح: محمّد باسل عيون السّود، التّعريفات، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، ط02، 2003، ص148

[5]- أبي البقاء أيّوب بن موسى الحُسَيني الكفوي، الكلّيات معجم في المصطلحات والفروق اللّغويّة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط02، 1998، ص616 [5]

[6]- رياض ابن حسن الخوام، نظريّة العامل في النّحو العربي، مجمّع اللّغة العربيّة على الشّبكة العالميّة،2014جامعة أمّ القرى، ص07 [6]

[7]-حسن خميس الملخ، التّفكير العلمي في النّحو العربي، دار الشّروق، عمّان، الأردن، ط1 2002، ص21 .

[8]-المرجع نفسه، ص212.

[9]- المرجع نفس ه،ص212.

[10]-وليد عاطف الأنصاري، نظريّة العامل في النّحو العربي عرضا ونقدا، دار الكتاب الثّقافي الأردن، ط02، 2014، ص47 .

[11]- رياض ابن حسن الخوام، نظريّة العامل في النّحو العربي، ص36 [11]

[12]-وليد عاطف الأنصاري، نظريّة العامل في النّحو العربي عرضا ونقدا، ص45 [12]

[13]-حسام البهنساوي، نظريّة النّحو الكلّي والتّراكيب اللّغويّة العربيّة، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة مصر، ط01، 2004، ص80 [13]

-أبي بِشر عمرو بن عثمان بن قَنبر،تح:عبد السلام محمّد هارون، الكتاب كتاب سيبويه، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،ج1،ط03، 1988، ص13 [14]

– غالب فاضل المطلبي، حسن عبد الغاني الأسدي، المفهوم التّكويني للعامل النّحوي عند سيبويه، مجلة المورد، وزارة الثّقافة والإعلام، المجلّ د27، العدد03، 1999، العراق، ص07

[15]

[16]–سمير معزوزن، ديداكتيتك النّظريّة الخليليّة الحديثة، مجلّة الممارسات اللّغويّة، المجلّد10 العدد01، مارس2019، تيزي وزو، الجزائر، ص253 .

[17]–المرجع نفسه، ص252 .

[18]– عبد الرّحمان الحاج صالح، النّظريّة الخليليّة الحديثة –مفاهيمها الأساسيّة–، كرّاسات المركز، العدد الرّابع،2007، سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة الجزائر، ص36

[19]– شفيقة العلوي، العامل بين النّظريّة الخليليّة والرّبط العاملي لنوام تشومسكي، مجلّة حوليّات التّراث، العدد07، مستغانم، الجزائر،2007، ص11.

[20]– وليد عاطف الأنصاري، نظريّة العامل في النّحو العربي عرضا ونقدا، ص153.

[21]– عبد الرّحمان الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللّسان، موفم للنّشر، الجزائر، دط 2012، ص369 .

[22]– مرتضى جواد باقر، مقدّمة في نظريّة القواعد التّوليديّة، دارالشّروق، عمان، الأردن، ط01 2002، ص148

[23]–عبد الرحمان الحاج صالح، النّظريّة الخليليّة الحديثة–مفاهيمها الأساسيّة، ص74 –

[24]– فاطمة الزّهراء بغداد، مفاهيم النّظريّة الخليليّة الحديثة، مجلّة جيل، الدّراسات الأدبيّة والفكريّة العدد48، يناير2019، ص97.

[25]– أبي بِشر عمرو بن عثمان بن قَنبر، لكتاب سيبويه، ج2، مصر، ط01، 1317 هـ ص04.

[26]– ابن الحاجب، تح: صالح عبد العظيم الشّاعر، الكافية في علم النّحو والشّافيّة في علمي التّصريف والخطّ، مكتبة الآداب، القاهرة، مص، دط، دت، ص.11

[27]–سمير معزوزن، ديداكتيتك النّظريّة الخليليّة، ص253.

[28]– عبد السّلام السيّد حامد، النّظريّة النّحويّة عند عبد الرّحمان الحاج صالح، مجلة الطّريق التّعليميّة والعلوم الاجتماعيّة، المجلّد05، العدد10، أكاديميّة ريس للنّشر، هاتاي، تركيا، أوت 2018، ص149

[29]– الحاج عبد الرّحمان صالح، النّظريّة الخليليّة الحديثة –مفاهيمها الأساسيّة–، ص.94

[30]– المرجع نفسه، ص95.

[31]–عبد الرحمان الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللّسان ،373.

المراجع:

1–أبي بِشر عمرو بن عثمان بن قَنبر، تح: عبد السلام محمّد هارون، الكتاب كتاب سيبويه مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج1،ط03، 1988

2–أبي بِشر عمرو بن عثمان بن قَنبر، لكتاب سيبويه،ج2، مصر،ط01، 1317 ه

3–أبي البقاء أيّوب بن موسى الحُسَيني الكفوي، الكلّيات معجم في المصطلحات والفروق اللّغويّة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط02، 1998

4–ابن الحاجب، تح: صالح عبد العظيم الشّاعر، الكافية في علم النّحو والشّافيّة في علمي التّصريف والخطّ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دط، دت.

5–وليد عاطف الأنصاري، نظريّة العامل في النّحو العربي عرضا ونقدا، دار الكتاب الثّقافي الأردن، ط02، 2014

6–حسن خميس الملخ، التّفكير العلمي في النّحو العربي، دار الشّروق، عمّان، الأردن ط1 2002

7–حسام البهنساوي، نظريّة النّحو الكلّي والتّراكيب اللّغويّة العربيّة، مكتبة الثّقافة الدّينيّة القاهرة مصر، ط01، 2004

8–محمّد محي الدّين عبد الحميد، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج02، دار الفكر بيرو ت، لبنان، دط، دت

9–مرتضى جواد باقر مقدمة في نظريّة القواعد التّوليديّة، دارالشّروق، عمان، الأردن، ط01 2002

10–السّيّد الشّريف الجرجاني، تح: محمّد باسل عيون السّود، التّعريفات، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، ط02، 2003

11–سمير معزوزن، ديداكتيك النّظريّة الخليليّة الحديثة، مجلّة الممارسات اللّغويّة، المجلّد10 العدد01، تيزي وزو، الجزائر، مارس2019

12–عبد الرّحمان الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللّسان، موفم للنّشر، الجزائر، دط 2012

13–عبد الرّحمان الحاج صالح، النّظريّة الخليليّة الحديثة –مفاهيمها الأساسيّة–، ،كرّاسات المركز، العدد الرّابع، سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة الجزائر،2007

14–عبد السّلام المسدّي، التّفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، الدّار العربيّة للكتاب تونس ط02، 1986

15–عبد السّلام السيّد حامد، لنّظريّة النّحويّة عند عبد الرّحمان الحاج صالح، مجلة الطّريق التّعليميّة والعلوم الاجتماعيّة، المجلّد05، العدد10، أكاديميّة ريس للنّشر، هاتاي، تركيا،أوت 2018.

16–فاطمة الزّهراء بغداد، مفاهيم النّظريّة الخليليّة الحديثة، مجلّة جيل، الدّراسات الأدبيّة والفكريّة العدد48، يناير2019.

17–رياض ابن حسن الخوام، نظريّة العامل في النّحو العربي، مجمّع اللّغة العربيّة على الشّبكة العالميّة، جامعة أمّ القرى،2014.

18–شفيقة العلوي، العامل بين النّظريّة الخليليّة والرّبط العاملي لنوام تشومسكي، مجلّة حوليّات التّراث، العدد 07، مستغانم، الجزائر،2007.

19–غالب فاضل المطلبي، حسن عبد الغاني الأسدي، المفهوم التّكويني للعامل النّحوي عند سيبويه مجلة المورد، وزارة الثّقافة والإعلام، المجلّد27، العدد03، العراق،1999.